جامعة بني وليد
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية

ورقة بحثية

بعنوان

الاستعمار الأوروبي وأثره على الواقع الأفريقي

د : إبراهيم أحمد عمران

العام 2024 م

ملخص

تُعدُّ القارة الإفريقية من قارات العالم القديم التي تشكلت أهميتها من خلال تحكمها في أهم الممرات المائية العالمية، وكذلك عبر سيطرتها على البحار التجارية في العالم، ممّا ساهمت كثيرا في ظهور الحضارات القديمة على السواحل الإفريقية، والتي بنيت على شواطئها العديد من الموانئ التجارية خاصة على السواحل المقابلة لأوروبا .

كما أُنشأتْ العديد من المدن التاريخية على السواحل الإفريقية، وكذلك على ضفاف الأنهار الإفريقية، حيث ارتبطت هذه المدن في علاقات تجارية واسعة مع غيرها من الدول المجاورة، وتوسعت التجارة لتشمل الهند ومدن حوض البحر المتوسط، في الوقت التي كانت فيه أوروبا ترزح تحت ويلات الحروب والنزاعات الطائفية والدينية المتشددة، التي أرهقت شعوب القارة الأوروبية، والذي تشكلت على إثرها العديد من التيارات المعارضة، ومع اشتداد هذه المعارضة ظهرت العديد من الأفكار التقدمية التي تطالب بالخروج من الركود السياسي والاقتصادي الذي أصاب أوروبا، بالإضافة لظهور عوامل فكرية متجددة أدت إلى ظهور الثورة الصناعية في بلدانها، والتي باتت في أمسّ الحاجة للموارد الطبيعية وخاصة المواد الخام؛ لتطوير صناعاتها وتحريك عجلة تقدمها، وعلى ضوء ذلك انتهجت أوروبا سياسة خارجية استعمارية للسيطرة على المناطق الغنية بالمواد الخام التي تحتاجها .

فالقارة الإفريقية تُعدُّ من أهم قارات العالم الغنية بالمواد الخام، التي تلبي متطلبات أوروبا حين ذاك، والتي ساهمت بقدر كبير في التطور والتقدم التي شهدته أوروبا، وكذلك خلق أسوقٍ لتصريف منتجاتها، وبفعل ذلك أصبحت القارة الإفريقية محط أنظار الدول الكبرى في أوروبا.

وانطلاقا مما سبق تحركت أوروبا في هذا الاتجاه عبر الاستكشافات الاستعمارية لغزو القارة الإفريقية لتحقيق أهدافها، والوصول إلى المناطق الغنية بالموارد الطبيعية، وبفعل سياستها الاستعمارية التي انتهجتها تجاه القارة الإفريقية فقد فقدت القارة سيطرتها على مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية، تحت مسميات متعددة وطرق وسياسات مختلفة، ومن شدة الهجمة الاستعمارية التي قادتها الدول الأوروبية ضد دول القارة، انهارت الحكومات الإفريقية أمام التغول الاستعماري الذي أصاب كاهل القارة الإفريقية نتيجة للنهب والسلب الذي طال كل شيء في القارة، وأصبحت السياسات في الدول الإفريقية تدار من قبل الدول الاستعمارية في أوروبا.

وعلى الرغم من استقلال دول القارة ، إلاَّ أن الإرث الاستعماري القديم الذي تشكلت على أساسه دول القارة إبان الاحتلال الأوروبي أصبح الهاجس المسيطر على دول القارة وعلى سياساتها المختلفة، والذي انعكس بشكل واضح على مختلف جوانب الحياة في القارة الإفريقية والتي لازالت آثاره إلى يومنا هذا .

مقدمة

تعرضت القارة الأفريقية لظاهرة الاستعمار الأوروبي أواخر القرن التاسع عشر إثر التغيرات التي شهدتها أوروبا، والتي تمثلت في قيام الثورة الصناعية وما رافقها من نمو اقتصادي هائل وتطور في مختلف الميادين التي كانت تتطلب الحصول على المواد الخام وسوقا لتصريف منتجاتها الصناعية .

حيث أخذت القارة الإفريقية بعدا استراتيجيا متناميا على المستوى الدولي والأوروبي على وجه الخصوص، ويرجع هذا الاهتمام بالقارة الإفريقية نتيجة لموقعها الاستراتيجي الذي يتحكم في أهم الممرات الحيوية العالمية، وما تحتويه القارة من مخزون استراتيجي ضخم من الموارد الطبيعية والمواد الأولية، مما جعلها تدخل في إطار التنافس الدولي الكبير الذي يستهدف هذه الموارد إثر زيادة الطلب عليها .

ومنذ ذلك التاريخ والقارة الإفريقية هدفا تتسابق عليه القوى العظمى في أوروبا لتعزيز تواجدها وتنفيذ مخططاتها التي تهدف إلى السيطرة على القارة الإفريقية وما تحتويه من مصادر متنوعة من الطاقة .

وبعد أن كانت القارة الإفريقية تعيش حالة من الاستقرار السياسي والاقتصادي وفي أجواء يغلب عليها الحضارة الإفريقية فقد سارعت الدولة الأوروبية استباحة الأراضي الدول الإفريقية مستخدمة العديد من الذرائع لنهب ثروات القارة، وقهر شعوبها دون أن يكون للقارة الإفريقية نصيب من التطور والتقدم؛ بل كان نصيبها الأكبر من الجهل والتخلف كنتيجة للسياسات التي تمارسها الدول الأوروبية تجاه دول القارة، مما انعكس سلبا على الواقع الافريقي، وأصبح الإرث الاستعماري حجر عثر أمام التطور والتنمية في أفريقيا، والتي أصبحت تعيش حالة من الفوضى والتفكك، وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والأمني والاجتماعي، مما شكل منعطفا خطيرا على حياة المواطن الافريقي .

- **مشكلة الدراسة :**

ويمكن أن نحدد مشكلة الدراسة في السؤال الآتي :

ـ هل السياسة التي انتهجتها الدول الأوروبية تجاه القارة الأفريقية إبان المرحلة الاستعمارية كانت ومازالت سبباً في تخلف القارة وما لحق بها من فشل واضح في مختلف جوانب الحياة في القارة الإفريقية ؟.

- **فرضية الدراسة :**

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها :

أن الاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية أواخر القرن التاسع عشر وما رافقه من تداعيات على كافة المستويات قد أدى إلى فشل واضح في مختلف جوانب الحياة داخل القارة الإفريقية، وعرقل نموها وتطورها وتقدمها .

- **أهمية الدراسة :**

يمكن إيجاز أهمية الدراسة في النقاط الآتية :

ـ تبرز الدراسة الكثير من الصعوبات والعقبات التي تشهدها القارة الإفريقية نتيجة للإرث الاستعماري القديم.

ـ الدراسة تعرضت لموضوع في غاية الأهمية كونه ذا صلة بمستقبل دول القارة ، كما أن هذه الدراسة تمتلك أهمية خاصة مستمدة من أهمية القارة في الإستراتيجية الأوروبية وما تمتلكه من إمكانيات في حالة الاعتماد على الذات والتخلص من الإرث الاستعماري القديم .

ـ اهتمام الباحث بدراسة هذا الموضوع لإلقاء الضوء على التحديات المختلفة التي تواجه دول القارة، والتي كانت سببا في تخلفها رغم إمكانياتها الاقتصادية والمادية .

ـ تهتم الدراسة بمحاولة الإسهام في تقديم المعرفة العلمية حول أسباب التخلف وعدم نجاح معظم المحاولات التي تقود إلى التكامل بين دول القارة .

ـ إثراء المكتبات العربية والإفريقية بهذا النوع من الدراسات للاستفادة منها نظرياً وعملياً .

- **أهداف الدراسة :**

تنطلق هذه الدراسة لتحقيق مجموعة من الأهداف أهمها :

ـ التعرف على أهمية القارة الإفريقية في الإستراتيجية الأوروبية قديما وحديثا.

ـ التعرف على حالة القارة قبل مجي الاستعمار الأوروبي من الناحية التاريخية .

ـ الكشف عن دوافع وأهداف الاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية .

ـ إبراز التحديات المختلفة التي تواجه دول القارة كنتيجة للإرث الاستعماري القديم .

- **منهج الدراسة :**

حاول الباحث أن يوظف المناهج والأساليب العلمية المتعارف عليها المستخدمة في البحث العلمي وهي على النحو التالي :

ـ المنهج الوصفي التحليلي : لدراسة المشكلة من مختلف جوانبها وأبعادها، كما استعان الباحث بالمدخل السياسي والاقتصادي للكشف عن الجوانب السياسية والاقتصادية المتعلقة بموضوع الدراسة .

- **دراسات سابقة :**

حاول الباحث ألا يغفل الجهود العلمية السابقة، والتي طرقت هذا الميدان وقد اطلع الباحث من خلال المسيرة العلمية لبحثه على بعض الدراسات السابقة وهي كالتالي : ـ

1ـ دراسة : بشير علي الكوت (2004) ، بعنوان الوحدة الإفريقية في القرن العشرين.

تناولت هذه الدراسة بدايات فكرة الوحدة الإفريقية بتطوراتها المختلفة داخليا وخارجيا، بالإضافة لذلك ركزت الدراسة على المنظمات الإقليمية والفرعية في القارة الإفريقية وأسباب فشلها، كما تناولت الدراسة القانون التأسيسي للاتحاد الإفريقي والتحديات التي واجهته. حيث توصلت الدراسة إلى النتيجة الآتية :

ـ واجه الاتحاد الإفريقي والمنظمات الإفريقية جملة من التحديات الداخلية والخارجية والتي ساهمت بدرجة كبيرة في عرقلة بعض الخطط الكفيلة لتحقيق أهدافها.

2 ـ دراسة: البشير علي الكوت (2008) بعنوان المنظمات الإقليمية الفرعية في إفريقيا (دراسة لأبرز المنظمات).

فقد استهدفت هذه الدراسة تطورات العمل الإقليمي في القارة الإفريقية، كما أكدت الدراسة على وجود مجموعة من التحديات والعقبات التي تواجه المنظمات الإقليمية الفرعية في القارة، وأشارت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي توصلت إليها وكان من أهمها :

ـ السمة الغالبة لهذه المنظمات أنها مؤسسات لا تتمتع بسلطات فوق القومية .

ـ هناك الكثير من المشاكل والعقبات التي تعترض علاقات التعاون والتكامل بين الدول الإفريقية والتي كانت سبباً في تعطل تحقيق الأهداف المشتركة لتلك الدول .

وعلى الرغم من أن الدراسات السابقة قد أشارت إلى بعض التحديات التي تواجهها القارة مند عقود، إلا أن هذه الدراسات قد أشارت إلى الصعوبات التي واجهة القارة في ذاتها، وفشل معظم المحاولات التكاملية في القارة دون ذكر أسبابها .

ومن خلال التحليل والاطلاع على حيثيات الموضوع اتضح أن التحديات التي تواجه القارة هي حالة دائمة ومستمرة، الأمر الذي كان سبباً أساسيا في ذلك الفشل والإخفاق في معظم جوانب الحياة في القارة الإفريقية؛ نتيجة لما خلفه الاستعمار الأوروبي من إرث استعماري ومآسي لا حصر لها على مختلف الأصعدة.

- **خطة الدراسة :**

أولاً ـ مقدمة :

تتضمن فكرة عامة عن مشكلة الدراسة؛ بالإضافة إلى عرض المشكلة وأسباب اختيارها، والمنهج المتبع لدراستها وأهدافها .

ثانيا ـ مبحثين :

ـ المبحث الأول : أهمية القارة الإفريقية في الإستراتيجية الأوروبية .

ـ المبحث الثاني : تداعيات وآثار التواجد الأوروبي في القارة الإفريقية.

المبحث الأول :

أهمية القارة الإفريقية في الإستراتيجية الأوروبية

المطلب الأول: أهمية موقع القارة الإفريقية :

تتمتع القارة الإفريقية مند القدم بموقع استراتيجي لا نظير له، فهي تسيطر على أهم الممرات البحرية العالمية، وقد تشكلت هذه الأهمية من خلال تحكمها في حركة التبادل التجاري بين دول العالم، خاصة تجارة النفط القادمة من الخليج العربي والمتجه إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية . أيضا هذه الممرات تعد من الممرات الحيوية لأي تحركات عسكرية قادمة من أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية في اتجاه الشرق[1].

كما يمثل الساحل الشمالي لأفريقيا والمطل على البحر المتوسط المقابل لأوروبا حلقة وصل بين أوروبا وإفريقيا، ويمكن من خلاله الوصول إلى وسط إفريقيا، والشواهد على ذلك كثيرة، حيث وصلت الدول الأوروبية من خلاله إلى وسط القارة أثناء الحركات الاستكشافية، والتي ساعدت فيما بعد على التغلغل الأوروبي داخل القارة.

ومن جهة أخرى فقد اكتسب الجزء الغربي والجنوب الغربي من القارة عبر التاريخ أهمية كبيرة، حيث كان الممر الوحيد لحركة الملاحة القادمة من أوروبا إلى الهند قبل فتح قناة السويس؛ كذلك أهميتها للأمريكيتين قديما وحديثا[2].

كما أنها بموقعها الاستراتيجي وسط العالم تتحكم في حركة المواصلات الجوية بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب، ونظرا لحجم مساحة القارة أصبحت مكانا للهبوط ونقطة للانطلاق باتجاه العالم .

ولا يختلف الحال عن منطقة القرن الافريقي وأهميتها في الإستراتيجية الدولية، فهي تتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر الذي يعتبر أحد طرق مرور ناقلات النفط من الخليج العربي والجزيرة العربية إلى الدول الصناعية مرورا بقناة السويس الذي يقع في الجزء الشمالي من البحر الأحمر، وهي أيضا نقطة مراقبة على مضيق هرمز والمحيط الهندي الذي يمثل الممر الوحيد لدول الخليج النفطية، كما أن وجود نهر النيل والبحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي جعل من منطقة القرن الإفريقي محط أنظار القوى الدولية مند القدم [3].

1- عبد السلام محمد شقلوف وآخرون. وثائق أفريقيا من أكرا إلى لومي، بنغازي، منشورات دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ نشر ، ص489 .

2- محمد الأمين ولد جدو . (تنامي ظاهرة التكتلات الاقتصادية عالميا)، مجلة دراسات، العدد الثالث والعشرون، طرابلس، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، 2005 ، ص109 .

3- محمد الحسيني المصيلحي . منظمة الوحدة الإفريقية (من ناحيتين النظرية والتطبيقية) ، بدون بلد نشر ، منشورات دار النهضة العربية ، 1976 ، ص1 .

بالإضافة لموقعها الاستراتيجي تتميز القارة الأفريقية بتعدد مواردها الطبيعية وضخامة إنتاجها وقيمتها في السوق العالمية وخاصة إبان الثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا أواخر القرن التاسع عشر، والتي جعلت من الدول الأوروبية تفكر دائما في الاستحواذ على تلك المناطق الغنية بالمواد الخام في القارة الإفريقية لسد احتياجاتها[1].

لقد جعلت الظروف والمعطيات من إفريقيا محط أنظار دول العالم على مر العصور واهتمام المستثمرين والباحثين عن مصادر الطاقة، ومناجم الموارد والمعادن في هذه القارة، والاستفادة منها في تمويل وإدارة الحركة الصناعية والاقتصادية المتنامية والمتطورة في العالم .

المطلب الثاني ـ قارة أفريقيا قبل الاستعمار الأوروبي :

كانت القارة الإفريقية قبل فترة الاستعمار الأوروبي أي قبل (500 سنة)، تعيش في فترة من الوئام والاستقرار، في أجواء يغلب عليها مسحة حضارية أفريقية، لعب في تشكيلها الإسلام والتجار العرب دوراً مهما عبر التاريخ[2].

فالقارة الإفريقية كانت مغرية للأطماع الاستعمارية مند القدم، حيث جاءتها بما يُسمى بحملة الاستكشافات، وهي في الحقيقة لا تمثل سوى نوع من أنواع الاستكشاف الاستعماري، ومّما يؤكد ذلك أن تاريخ الحملة الاستعمارية على القارة الإفريقية قد ارتبط تاريخيا بتلك الكشوفات الجغرافية [3].

ولعلنا لا نبالغ إذْ قلنا إن المكتشف الحقيقي للقارة الإفريقية هو الإنسان الإفريقي الذي عاش فيها مند آلاف السنين، فالرجل الإفريقي قد ضحى من أجل إفريقيا، وارتبطت به وارتبط بها مند القدم، وإن وجود الحفريات بها خير شاهد أو دليل على ذلك.

فالمصادر التاريخية تؤكد أن الإنسان الإفريقي لم يتعامل مع الصحراء الإفريقية على أساس أنها عالم مجهول؛ بل أن الآثار والنقوش الصخرية تعطى مؤشرات دقيقة على وجود نشاط بشري يدل على أن الصحراء الكبرى في إفريقيا كانت أسهل اختراقا في العصور القديمة للإنسان الإفريقي[4].

وكذلك فإنّ الدارسين والمؤرخين للتاريخ البشري يؤكدون أن بداية الإنسان كانت منها، وأن تأصيل الإنسان في إفريقيا أقرب إلى الحقيقة، وأن أحد المعالم التاريخية التي زرعت بدور الحضارة الأولى هي الهضبة الإفريقية

---

1 ـ حمدي عبد الرحمن حسن . العرب وأفريقيا في زمن متحول ، بدون بلد نشر ، منشورات دار مصر المحروسة ، بدون تاريخ نشر ، ص 127 .

2ـ عبد الله الاشعل . الاتحاد الافريقي والقضايا الإفريقية المعاصرة ، القاهرة ، منشورات مؤسسة الطوبجي للتجارة والطباعة والنشر ، 2002 ، ص4 .

3ـ محمد المبروك يونس. دور ليبيا في المسار العلاقات العربية الإفريقية (1969 ـ 1970) ، بنغازي ، منشورات دار الكتب الوطنية ، 2007 ، ص4 .

4ـ حيدر الزروق الجعراني . خواطر افريقية ، بنغازي ، منشورات دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، 2006، ص47 .

في إثيوبيا منبع نهر النيل، الذي قامت على ضفافه الحضارات القديمة، ورغم الهجمات الاستعمارية المتعددة على القارة إلا أنها لازالت تحتفظ بمكوناتها الحضارية [1].

وهكذا لم تكن أفريقيا بمعزل عن موكب الإنسانية في تقدمه؛ بل كانت في مقدمة هذا الموكب في العصور التاريخية، فقد كان شمال إفريقيا جزءا من الحضارة الرومانية له قدره ومكانته، وكانت مصدراً للحبوب التي تمد روما بحاجتها من القمح والشعير، تلك الحضارة التي نمت وازدهرت في الشمال أفريقي.

كما ظهرت عبر تاريخها القديم الحضارة الفينيقية والإغريقية على الساحل الإفريقي الشمالي الذي اعتمدوا عليه في تجارتهم، ونجد هذا واضحاً من خلال المدن الأثرية المنتشرة في الساحل الإفريقي.

والرجلُ الافريقي العظيم قد صنع المراكز الثقافية العظيمة المنتشرة في ربوع القارة فهناك تمبكتو وجن وكانو، وكانت تمبكتو أعظمها، حيث تأسست أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وقد اجتمع فيها العلماء من كل جنس ولون، كما وفد إليها الطلاب من بقية أنحاء السودان الغربي مثل السنغال والنيجر وإمارات الهوسا[2].

كذلك أكد المؤرخ (جاكسون) في كتابه (مقدمة إلى الحضارة الإفريقية) أن البروفسور (أحمد بابا) من جامعة سانكور في تنبكتو، ألف حوالي أربعين كتابا في مواضيع متفرقة مثل علم الفلك، وعلم الأحياء والسلالات، والدراسات الدينية، وكان يملك مكتبة تحوي 1600مجلد [3].

كما أكد (ولتر رودني) في كتابه(نحو فهم أخوتي) على أن تمبكتو خلال القرن الرابع عشر عندما كانت أوروبا لا تزال غارقة في عصر الظلمات، كانت تمبكتو تعد من أشهر المدن في العالم من حيت التعليم والتجارة،إذ كانت تضم مدارس عديدة من كل المستويات وتعتمد في كتاباتها اللغة العربية، وذكر شخص أوروبي زار تمبكتو مند 450 سنة أن فيها قضاة وأساتذة، وأن الطلب على الكتاب فيها عال جدا وتجارة الكتب أكثر فائدة من أي تجارة أخرى [4].

ففي العصور الوسطى حين كانت السفن الأوروبية عاجزة عن الوصول حتى إلى المحيط الهندي أو إلى ساحل غرب أفريقيا، كان ملوك وسط أفريقيا ومستشاريهم تأتيهم احتياجاتهم من الصين عن طريق تجار أفريقيا، وقد أسست ممالك مستقرة ومزدهرة في جنوب الصحراء مثل مملكة مالي، وصنغي، وغانا، لها حكامها وجيوشها ونظمها .

لقد كانت التجارة عبر الصحراء بمثابة شريان الحياة للدول الإفريقية، تأتي السلع من أغلب قارات العالم القديم عبر شمال إفريقيا، وفي الوقت ذاته تأتي السلع من الصحراء الكبرى لتصديرها عبر موانئها المنتشرة على سواحل البحر المتوسط إلى العديد من مناطق العالم، وقد شاركت أفريقية في الميدان الاقتصادي العالمي

1ـ المرجع نفسه، ص48 .

2ـ المرجع نفسه، ص47 .

3ـ حمدي عبد الرحمن حسن ، مرجع سابق ، ص131 .

4 ـ المرجع نفسه ، ص43 .

عبر تاريخها وحتى القرن التاسع عشر في تصدير بعض السلع ذات الخصائص المعينة إلى أوروبا عبر موانئها[1].

وبهذا ساهمت القارة الإفريقية في التطور الذي شهدته أوروبا أواخر القرن التاسع عشر، بل دفعت عملية التقدم الصناعي في أوروبا إلى الأمام، وكنتيجة للسياسة الاستعمارية التي انتهجتها أوروبا إبان الغزو الاستعماري للقارة، نالت القارة نصيبها من الجهل والتخلف، وما يحمله ذلك من انعكاسات على أرض الواقع.

المبحث الثاني :

تداعيات وآثار التواجد الأوروبي في القارة الإفريقية:

المطلب الأول: ـ السياسة الأوروبية تجاه القارة :

كانت القارة الإفريقية منذ القدم مسرحاً للتنافس بين الدول الأوروبية خاصة إبان الثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا أواخر القرن التاسع عشر؛ لما لهذه القارة من مخزون هائل من الموارد طبيعية الذي تحتاجها أوروبا تلك الفترة وما زالت كذلك، والتي لعبت دور أساسيا ومحوريا في النهضة الأوروبية .

ومنذ ذلك التاريخ والقارة الإفريقية تعاني من تدخلات الأطراف الدولية التي مارست مختلف أنواع الاستغلال والنهب الممنهجة ممّا شكل عقبة أمام التنمية والتطور في القارة، ولاسيما القوى الكبرى في أوروبا، وكان التكالب الأوروبي على اقتسام الثروة والنفوذ في إفريقيا قد شكّل نقطة تحول فاصلة في تاريخ إفريقيا والعالم، فقد حرصت الدول الاستعمارية على الاحتفاظ بروابطها التقليدية مع مستعمراتها القديمة، عبر سلسلة من الإجراءات والتدابير؛ أهمها الاتفاقيات العسكرية التي أنجزتها قبل رحيل قواتها العسكرية، وكذلك توجيه الدول الإفريقية نحو الاعتماد على الخارج، سواء على مستوى أنماط الإنتاج أو الاستهلاك، أو من خلال رسم الحدود المصطنعة بين الدول الإفريقية بطريقة تحول دون تحقيق أي من التكامل فيما بينها، أو حتى تحقيق نوع من الاستقرار[2].

ويمكن القول: إن بداية الاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية بشكل فعلي قد ارتبط بالكشوف الجغرافية كما ذكر سابقا، حيث تعتبر مرحلة الكشوف مرحلة هامة من مراحل الاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية، وأصبح الصراع فيما بينهم على أشده، لبسط نفوذهم على القارة، ويمكن إرجاع ذلك لعدة أسباب كان أهمها [3]:

1 ـ التسابق في السيطرة على المواد الأولية في القارة الإفريقية لتمويل مصانعها في أوروبا بفعل تزايد الطلب المترتب على تطور الصناعة .

1ـ عبده علي عثمان . التحركات البشرية والهجرات اليمانية (الصلات الحضارية والثقافية بين اليمن والمستوطنات الحضرية في شمال أفريقيا) بنغازي ، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى ، 2007 ، ص37 .

2ـ أحمد الصاوي . قضية لوكربي ومستقبل النظام الدولي (الأبعاد غير معلنة للحملة الغربية ضد الجماهيرية)، بدون بلد نشر، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1992 ، ص163 .

3ـ لويس دوللو . التاريخ الدبلوماسي ، بيروت ، منشورات عويدات للنشر والطباعة ، الطبعة الثالثة ، 1999 ، ص43 .

2 ـ البحث عن أسواق أفريقية لتصريف الفائض من إنتاجها .

3 ـ البحث عن مجال استثمار رؤوس الأموال بفعل صعوبة توافر ذلك في أوروبا؛ نتيجة تزايد عدد الرأسماليين في أوروبا .

4 ـ إمكانية القيام بإنتاج بعض المحاصيل الزراعية في إفريقيا لتغطية احتياجات أوروبا منها.

هكذا انطلقت الدول الأوروبية باتجاه القارة تحت ذريعة ما يسمى البعثات التبشيرية والمساعدات الإنسانية والشركات التجارية، ولكن في الحقيقة ما هي إلا نوايا استعمارية للسيطرة على القارة وما تحتويه من مواد خام وموارد بشرية لسد احتياجاتها، وقد اتضح ذلك جليا فيما بعد من خلال اتباعها جملة من السياسات الاستعمارية التي كانت سبباً رئيسيا لما نحن فيه اليوم، ومن أهم تلك السياسات [1]:

1 ـ رسْمُ الحدود حسب الأماكن التي يستقر فيها المستعمرون بما يخدم مصالحها دون مراعاة خصوصيات الشعوب الإفريقية.

2 ـ فرضت كل دولة استعمارية نظامها الذي يخدم مصالحها ووجودها الدائم في القارة

3 ـ ربطت مستعمراتها الإفريقية بمتطلبات أسواقها في أوروبا وكذلك ارتبطت المصانع الأوروبية بالمواد الخام في إفريقيا، وهذا ما جعلها أكثر إصرارا في البقاء في إفريقيا .

4 ـ استخراج الخامات اللازمة لمصانعها في أوروبا من إفريقيا دون غيرها .

5 ـ شكلت حكومات بما يتناسب معها باسم الديمقراطية لتحقيق مصالحها داخل القارة.

ومند ذلك التاريخ والدول الغربية تتكالب على القارة الإفريقية وترفض مغادرتها؛ وذلك لحاجتها الضرورية لموارد القارة الطبيعية والبشرية، بل إن الصراع بين الدول الأوروبية على القارة وتحويلها إلى مناطق نفوذ كان لها نتائج مدمرة ما تزال جلية لا يمكن إنكارها .

ومّا لاشك فيه أنّ القوى الأوروبية ادعت أنّ تواجدها إنما هو لحمل مشعل الحضارة والمدنية إلى مناطق العالم المتخلف خاصة الدول الإفريقية إلا أن (والتر رودني) المؤرخ المشهور يكشف زيف هذه الادعاءات ويرى أن الاستعمار الأوروبي هو السبب الرئيس لتخلف إفريقيا، ويؤكد أن الاستعمار لم يكن مجرد نظام للاستغلال فحسب بل كان نظام هدفه الرئيس أن يعيد الأرباح إلى بلدانهم، وان تطور أوروبا كجزء من العملية نفسها التي أحدثت التخلف في إفريقيا، وخلفت العديد من الصراعات الداخلية في الكثير من أجزاء القارة، بالإضافة إلى تفشي الجهل والفقر والضعف السياسي[2].

1ـ محمد الحسيني المصلحي . مرجع سابق ، ص7 .

2ـ جميل مصعب محمود. تطورات السياسة الأمريكية اتجاه إفريقيا وانعكاساتها الدولية، عمان، منشورات دار المجدلاوي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2006 ، ص 124

ومن الجدير بالذكر أن الدور التي تلعبه الدول الأوروبية اتجاه القارة لم يتوقف حتى بعد حصول الدول الإفريقية على استقلالها؛ بل استمرت سياسة التهميش والمغالبة ضد دول القارة من قبل تلك الدول الاستعمارية على النحو التالي[1] :

1ـ إفراغ الاستقلال التي حصلت عليه الدول الإفريقية من محتواه عن طريق وجود اتفاقيات عسكرية واقتصادية دائمة كأمر واقع .

2 ـ توفير الدعم والحماية لعدد من القيادات الحاكمة والموالية للغرب .

3 ـ ترك الدول الإفريقية تواجه العديد من المشاكل .

4 ـ الإطاحة بالنظم السياسية التي لا تتوافق مع سياساتها في إفريقيا، وتمكين نظم سياسية موالية لها في السلطة .

5 ـ تظاهر القوى الاستعمارية بالتحالف مع الحكومات الوطنية لرسم سياسة جديدة لإعادة نفوذهم .

6 ـ التهديد بوجود عدوان خارجي كوسيلة لإقناع الفئات الحاكمة في تلك الدول بأن السبيل الوحيد لحمايتها يكمن في الاعتماد على القوى الاستعمارية .

7 ـ الاعتماد على الميراث القديم من الثقافات التي زرعتها الدول الاستعمارية القديمة في ترويج الدعاية والأفكار المؤيدة لسياسات الاستعمار.

8 ـ إغراق بعض الدول الإفريقية بالديون، وربط اقتصادها باقتصاد الدول الاستعمارية القديمة بطرق مختلفة.

9 ـ اختراق المجتمعات الإفريقية بهدف تكريس علاقات التبعية للنموذج الرأسمالي من خلال إقامة علاقات مع القوى المحلية صاحبة النفوذ .

هكذا أصبحت القارة الإفريقية تعاني وطأة التدخل الأجنبي، وأصبح التنافس هو الحالة السائدة بين تلك الدول واستمرت الحملات الأوروبية على القارة وما سببته من مآسي وكوارث جعل من دول القارة رهينة المصالح الأوروبية إلى يومنا هذا؛ حيث قاد ذلك إلى تمزيق المجتمع الافريقي وإعادة بنائه بطريقة اصطناعية أربكت التطور الطبيعي والتلقائي للقارة، وفي الوقت نفسه عجزت الحكومات الإفريقية عن تقديم أبسط ما يطمح إليه المواطن الإفريقي من جراء تلك السياسة الاستعمارية [2] :

1ـ المرجع نفسه ، ص125

2ـ البشير علي الكوت وآخرون . الاتحاد الافريقي (مسيرة الوحدة الإفريقية)، بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص15 .

لقد أكدت رئيسة وزراء فرنسا سابقاً (إيديث كريسون) خلال حوار مجتمعي أن بلدان الشمال عليها مسؤولية اقتصادية هائلة اتجاه مناطق الجنوب وخاصة إفريقيا وحتى إن قمنا بالكثير في الماضي فإن ذلك لم يكن على الدوام بالطريقة الأفضل [1].

وأشارت أيضاً إلى أن الاستعمار الغربي كان سبباً في إفقار القارة وتخلفها؛ لأنه سرق ثروتها في الماضي ولا يزال يحاول بكل السبل سرقتها في الوقت الحاضر، ويستولي وينهب بأسلوبه الرأسمالي الذي يحدد الأسعار لصالحه، كالخامات، والمواد الأولية التي تنتجها القارة، ويباع لهم بأبخس الأسعار بل يستولوا عليها من خلال إشاعة الحروب ودعم الصراعات بين مختلف القبائل والدول في القارة [2] .

كما أوضح الجنرال (ديغول) في إحدى مقابلاته وفي رد على خصومه الذين كانوا يصفون المساعدات الفرنسية المخصصة للبلدان الإفريقية بالهدر العقيم قائلا: تقدم فرنسا مساعدات مالية للتعاون مع تلك البلدان، وهذه المساعدات ليس مالاً ضائعاً كما يعتقد البعض؛ بل نحافظ مع تلك الدول على روابط وثيقة جدا على المستوى الثقافي [3].

المطلب الثاني: ــ أثر الاستعمار الأوروبي على القارة الإفريقية :

أصبحت القارة الإفريقية تعيش مرحلة الاستعمار عن بعد من خلال سياسة الاحتواء التي انتهجتها أوروبا وما زالت تمارسها تجاه الدول الإفريقية، لكي تبقى القارة الإفريقية منطقة نفوذ لها وراعية لمصالحها، وهكذا استطاعت الدول الاستعمارية تحقيق ذلك بفعل الأنظمة الدكتاتورية الموالية لها في إفريقيا، بالإضافة لما خلفته من إرث استعماري تشكلت على أساسه الدول الإفريقية الحالية .

وعلى الرغم من تضارب المصالح داخل القارة بين الدول الاستعمارية إلاّ أنها اتفقت على خصائص معينة، وهي تمزيق المستعمرات، واستغلال ثرواتها، وربطها بعاصمة الدولة الاستعمارية لغة وثقافة ووجدانا [4] .

ونتيجة لتلك السياسات الاستعمارية فإنّ القارة الإفريقية اليوم تواجه العديد من التحديات، بسبب المشاكل المتعددة والمتنوعة والمزمنة التي أنهكت القارة على جميع الأصعدة (السياسية والأمنية، والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية)، فالظروف التي مرت بها وتمر بها القارة هي ظروف تتسم بطابع التخلف والمعاناة التي خلفتها عقود طويلة من الاستعمار الأوروبي؛ والذي انعكس على الحياة العامة في إفريقيا، ومن تلك الآثار :

1- إيديث كريسون . حوار البحر الأبيض المتوسط ـ أوروبا في ظل العولمة ، بنغازي ، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى ، 2006 ، ص177 .

2- حيدر الزروق الجعراني . مرجع سابق ، ص197 .

3- أساسي فساني ، مرجع سابق ، ص296 .

4- عبد الله الاشعل ، مرجع سابق ، ص239 .

أولاً: ــ الآثار السياسية والأمنية :

معظم الدول في القارة الإفريقية هي ذات طبيعة خاصة تشكلت وفقا للتقسيم الأوروبي، فهي تضم في داخلها عدد من القبائل يجعلها دولة مهددة بالتحلل والتفكك إلى عناصرها الأولية وهي القبيلة، وبفعل ذلك قد تحولت بعض الدول الإفريقية إلى مجتمع اللادولة[1].

كما أن مؤسسات المجتمع المدني في إفريقيا تكونت على هامش تجارب الديمقراطية الغربية غير المتعارف عليها في إفريقيا، والتي نشأت على أساس عرقي بسبب مناخ عدم الثقة والصراع الذي ازدادت شدته، خاصة تحت أنظمة دكتاتورية جهوية تمارس الرشوة والفساد وإهدار المال العام على الملذات والاستقواء بالأجنبي معتمدة على المساعدات والحماية الأجنبية، دون أن يكون لهذه المساعدات الأثر الإيجابي على الواقع الأفريقي .

إن إصرار الغرب على تطبيق النهج الديمقراطي الغربي الذي يعتمد على التعددية السياسية والانتخابات والنظم التمثيلية قد أفسد العلاقة التقليدية بين القوى السياسية في الدول الإفريقية، ومزق اللحمة الاجتماعية التي كانت عاصما لهذه المجتمعات من الانزلاق إلى هاوية الصراعات القبلية أو العرقية الذي ينتمي له الفرد[2] .

فالدولة في إفريقيا في أغلب الأحيان وبدرجات متفاوتة تتميز بعدم الاستقرار السياسي والأمني داخل الدولة نفسها، أو على حدودها نتيجة للصراعات المختلفة، وقد تكون اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، ولعل الحروب الأهلية التي قادت إلى تفكك العديد من الدول داخل القارة كانت نتيجة للفراغ الأمني وعدم الاستقرار، ومن المعروف أن عدم الاستقرار السياسي ينعكس بكل تأكيد على ميادين العمل والأنشطة المختلفة[3].

ويكشف لنا (والتر رودني) عن حقيقة استعمار إفريقيا إذ يرى أنه السبب الرئيس لتخلف القارة الإفريقية، وعلى الرغم من اختلاف النظم السياسية الاستعمارية فإن الملامح العامة مثلت قاسما مشتركا للحركة الاستعمارية في إفريقيا لعل أبرزها [4]:

ـ أن جميع الدول الأوروبية ادعت بأنها جاءت لأفريقيا من أجل مهمة حضارية مدنية، ولكن حين تحولت المجتمعات الإفريقية إلى مستعمرات تابعة لها فإن الدول الأوروبية لم تأخذ الشعار النظري التي جاءت به محمل الجد؛ بل أفصحت عن وجهها الحقيقي في استغلال ثروات وخيرات القارة الإفريقية .

1ـ بشير الكوت . الوحدة الإفريقية (في القرن العشرين) ، بنغازي ، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى ، 2004 ، ص118 .

2ـ عبد الله الأشعل . مرجع سابق ، ص239 .

3ـ البشير على الكوت . المنظمات الإقليمية الفرعية في إفريقيا دراسة لأبرز المنظمات، بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى ، 2008 ، ص35 .

4ـ محمد ولد سيدي محمد . الممارسة الديمقراطية الشعبية في التراث الافريقي ، (ملامح التطور التاريخي للنظم السياسية الإفريقية) ، بنغازي ، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى ، 2008 ، 26 .

ـ سعت الدول الأوروبية خلال احتلال القارة إلى خلق ظاهرة الدولة الحديثة من خلال وضع أسس السلطة الاستعمارية فأنشأت الهياكل الإدارية والبنى الأساسية اللازمة لتحقيق هذا الغرض، وبالتالي فإن الدول الإفريقية المعاصرة في معظم الحالات هي نتاج استعماري، أي أساسها مصطنع، ولا تعبر عن واقع اجتماعي أو اقتصادي، أو سياسي وفقا لمفهوم الدولة القومية .

ثانياً: ـ التبعية الاقتصادية :

لقد ارتبطت الدول الإفريقية بالدول الأوروبية من خلال خضوع الاقتصاد الأفريقي للتبعية بكل معانيها؛ وذلك بحكم ما تمتلكه تلك الدول الغربية من إمكانات (موارد مالية وخبرة وقدرة تكنولوجية) للسيطرة على الاقتصاد الأفريقي، والتي يؤهلها للسيطرة على اقتصاديات تلك الدول الإفريقية، وحصولها على أكبر قدر من المنفعة من الموارد الاقتصادية الإفريقية، دون النظر إلى المصالح الاقتصادية للدول الإفريقية والذي في معظمه تابع إلى اقتصاديات الدول الأوروبية صاحبة رأس المال[1].

وقد اتبعت الدول الأوروبية سياسة التبعية تجاه دول القارة، بما لديها من قدرة إنتاجية ضخمة ورأس مال يزداد يوما بعد يوم بفضل التطور الصناعي في أوروبا، ونتيجة لاعتماد الدول الإفريقية على الأموال والخبرات الأجنبية جعلها خاضعة للسيطرة الأوروبية بشكل دائم .

ولا زالت الدول الأوروبية تمارس سياسة التبعية الاقتصادية ضد الدول الإفريقية إذ فتحت المجال أمام العمالة الإفريقية عن طريق هجرة القوة العاملة إليها، ومن آثار ذلك على القارة الإفريقية حدوث نقص كبير في الأيدي العاملة داخل القارة الإفريقية، مما شكل عقبة أمام استثمار الموارد الطبيعية، وبالتالي عرقلة مسيرة التنمية والتطور داخل القارة[2].

ثالثاً: ـ تجارة الرقيق :

الدول الأوروبية لها تاريخ طويل في استعمار القارة فلا أحد يستطيع أن ينكر الآثار السلبية والتكاليف الباهظة التي تحملتها ومازالت تتحملها إفريقيا مند الاحتكاك الأوروبي بها، حيث جاءت صلة إفريقيا بالعالم الخارجي وخاصة مع أوروبا عبر تجارة الرقيق المشينة التي انتهت في نهاية القرن التاسع عشر، ولكن آثارها لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، لقد سخر الأوروبيون الرقيق في مختلف أعمالهم، وأدلوهم بشتى الطرق، وسنوا القوانين لتقيد مطالبتهم بحقوقهم، وحرمتهم من الوظائف والزوج والتعليم .

ويمكن الإشارة إلى أهم النتائج المترتبة على هذه التجارة وهي [3].

1ـ مسعود عمر مسعود . تجمع الساحل والصحراء ، بنغازي ، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى ، 2008 . ص114 ص115 .

2ـ المرجع نفسه ، ص115 .

3ـ سالم عبد الله الفلاح . التمييز العنصري وآثاره في جنوب إفريقيا ، بنغازي، منشورات جامعة بنغازي، الطبعة الأولى ، 2008 ، ص118 .

ـ إضعاف هيبة حكام ورؤساء القبائل الإفريقية، وتفكيك النسيج الاجتماعي بين أفراد القبيلة بشكل عام .

ـ استنزاف أفريقية من الأيدي العاملة وخاصة من فئة الشباب القوية .

ـ ظهور الانحرافات في سلوك الأفراد، كانتشار عادات الغربيين السيئة بينهم .

ـ بروز طبقة انتهازية جديدة مستعدة للتنازل عن حقوقها في سبيل الحصول على المادة حتى ضد أبناء شعبها، مما أدى إلى خلق عداءات وصراعات بين القبائل التي استنجد بعضها بالمستعمرين .

ـ كانت تجارة الرقيق بالنسبة لأفريقيا خسارة مروعة خاصة كانت بين فئات الشباب .

وطبقا لبعض التقديرات فإن عدد الأفارقة الذين نقلوا عبر الأطلسي في الفترة من (1650) وحتى (1850) يقدر بحوالي تسعة ملايين نسمة تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشر والخامسة والثلاثين، إلى جانب أنها أسهمت في تنمية أوروبا، بالمقابل أضرت كثيرا بالقارة الإفريقية إضرارا بالغا وتركت آثارا عميقة في نفسية المواطن الافريقي، حيث إنها أفضت إلى تغيير جدري في توزيع الأجناس البشرية في إفريقيا، وكان الهدف من هذه العملية هو تحقيق رفاهية المجتمع الغربي وخدمة اقتصاده على حساب القارة وأبنائها، تاركة وراءها الآلاف من الجثث والمعدومين من أبناء القارة، بالإضافة لإشعال الحروب القبلية وخلق جو من التشاحن والبغضاء بين القبائل الإفريقية، وهو ما أفض في النهاية إلى خلخلة النظم القبلية التي أصيبت بهزات مدوية يسمع صداها إلى يومنا هذا [1].

ـ الصراعات والحروب الأهلية :

تشهد دول القارة العديد من الصراعات والحروب الأهلية والتنافر بين الجماعات والقبائل في المجتمع الواحد؛ بسبب الإرث الاستعماري كما حدث في نيجيريا بين عامي(1967 ـ 1970)، والتي بلغت ضحاياها نحو: (مليون) قتيل، بالإضافة للخسائر المادية، وكذلك الحرب الأهلية في بورندي ورواندا، والكنغو، والسودان، وساحل العاج، وليبيريا، وسيراليون، والصومال، وتشاد، وهي غالبا ما تغذيها صراعات جهوية وعرقية [2] .

إن ظاهرة الحروب الأهلية هي ظاهرة معقدة ومتعددة الأبعاد، تفجرت في العديد من الدول الإفريقية في أعقاب الاستقلال، ومردُّ ذلك الاستعمار الأوروبي وما أوجده من مشاكل حدودية ومن معالجات واختلالات للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد أثرت الحروب الأهلية على العلاقات بين الدول الإفريقية وتسببت في حدوث انهيارات اقتصادية ببعض الدول الإفريقية؛ نتيجة ضخ الأموال للحرب والتي كانت نتيجتها حصول العديد من المآسي والمشاكل الإنسانية [3].

1ـ جميل مصعب محمود . مرجع سابق ، ص124 .

2ـ بشير على الكوت . المنظمات الإقليمية الفرعية في أفريقيا (دراسة لأبرز المنظمات) ، مرجع سابق ص34 .

3ـ احمد نوفل . (ظاهرة الحرب الأهلية في أفريقيا دراسة أسباب نشأة الظاهرة ونتائجها)، مجلة آفاق افريقية ، العدد الرابع ، بدون مكان نشر ، 2000 ، ص164 .

وتعتبر الحروب الأهلية من أخطر المشاكل التي واجهتها القارة الإفريقية فهي أدت إلى نتائج مدمرة من بينها تدفق اللاجئين إلى الدول المجاورة ونزوح البعض داخل الدولة من أوطانها وأقاليمها، وانحسار سلطة الدولة أو ضعفها، أو اختفائها كلية، وشلل تام للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وسقوط ضحايا من أبناء الشعب وقودا للحروب الأهلية وآثارها، وتدهور البيئة ونوعية الحياة وانتهاك حقوق الإنسان وخاصة حقوق الأطفال والشباب الذين يجندون في المعارك، وستضل تحديا قائما أمام كل المحاولات الإفريقية .

إن الصراعات القبلية والحروب الأهلية الذي غرس بذورها الاستعمار الأوروبي برسم حدود جغرافية مبهمة بين الدول الإفريقية قد شكلت عائقا أمام الكفاءات الإفريقية للقيام بدورها وتحويل تلك القدرات الإفريقية إلى قوة لا معنى لها، وهجرتها إلى الخارج حيث الأمن والأمان، التي يمكن استغلالها في تطوير الموارد المتوفرة في القارة واستخدامها في عملية التنمية في إفريقيا [1].

وتعتبر القارة الإفريقية من أكثر قارات العالم من حيث الحروب الأهلية، وتعود طبيعة هذه المشكلة إلى التعدد الأثني في القارة، وما تعانيه من فقر وصراع على الموارد المحدودة وما يلعبه الاستعمار من إذكاء للحروب والصراعات الأهلية، لتحقيق مصالحه من خلال سياسة فرق تسد[2] .

وقد شهدت القارة الإفريقية سلسلة من الحروب الأهلية التي اشتعلت في العديد من الدول الإفريقية ولعل أبرزها التي وقعت في نيجيريا وعرفت بمشكلة بيافرا، والحرب الأهلية في السودان تلك الحرب الانفصالية، وتعود هذه المشكلة لجهود بريطانية قديمة خلال استعمار السودان عام 1898 ــ 1958 .

كذلك فإنّ أخطر الحروب الأهلية التي شهدتها أفريقيا على الإطلاق تلك الحرب الأهلية في (أوغندا) في منتصف الثمانينات، وفي (زائير عام 1997)، وفي (بوروندي) عام (1994) في مطلع التسعينيات من القرن العشرين، والتي شهدت مذابح متبادلة بين الأهالي والجماعات المختلفة تركزت أساسا على قاعدة عرقية تعود إلى قبيلتي الهوتو والتوتسي [3].

ويمكن أن نشير إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن الحروب الأهلية كثيرا ما تترك جروحا عميقة داخل المجتمع الواحد على مر السنين دون تمييز أو شفقة أكثر ما تتركه النزاعات بين الدول .

ـ المشاكل الحدودية :

القارة الإفريقية بما تعيش فيه من تركيبة عشوائية تمت على يد المستعمرين في ردح من الزمن لا تزال عنوانا بارزا لتلك الأيام المظلمة التي عاشتها القارة، حيث شهدت القارة الإفريقية ـ بشكل غير مألوف في قارات العالم الأخرى ـ مشاكل حدودية لا حصر لها، وما تزال آثارها المدمرة إلى يومنا هذا، حيث قسمت أفريقيا

1ـ صليحة علي صداقة . (هجرة العقول الإفريقية، إفراغ للذاكرة الحضارية)، مجلة الثقافة العربية، العدد 297، منشورات مركز الثقافة العام ، 2008، ص48 .

2ـ عبد الله الأشعل . مرجع سابق ، ص174 .

3ـ جان بيار كريتيان. إفريقيا البحيرات الكبرى ألفا عام من التاريخ، بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، 2000، ص7.

إلى دويلات تفصل بينهم حدود ذات طبيعة مختلفة، وأعراق مختلفة، ولهذا شهدت القارة العديد من النزاعات الحدودية كالنزاع الليبي التشادي حول شريط أوزو، والنزاع بين مالي وبوركينا فاسو حول كامل الحدود المشتركة بينهما، وكذلك بين (نيجيريا والكاميرون)، والنزاع بين (المغرب والجزائر)، وكذلك منطقة الحلايب بين مصر والسودان[1] .

لقد جاء الاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية لخلق واقعا جغرافيا زائفا ومصطنعا، فأصبحت الحدود الموروثة عن ذلك العهد الاستعماري أشبه بالقنابل الموقوتة التي يمكن أن تنفجر في أي لحظة، وهو ما يعني تهديد استقرار وأمن القارة بعد الاستقلال، ولعل النموذج الأكثر وضوحا وأهمية في هذه الحالة هو "الصومال الكبير" الذي تقطعت أوصاله إلى خمسة أجزاء بحسب الأهواء والمصالح الاستعمارية، وهو ما يمثل أحد الأسباب الرئيسة لاحتمالات الحرب والصراع في المنطقة حتى الآن [2].

إن المشاكل الحدودية كانت لها انعكاسات سلبية كذلك على التركيبة العرقية الأثنية في القارة وهو ما أضعف الولاء الوطني بين الجماعات الأثنية والعرقية المتعددة التي يتكون منها النسيج الاجتماعي والذي يعمق حالة الانفصال، ويرفع سقف المطالب السياسية للجماعات المهمشة والمحرومة إلى حد الانفصال والاستقلال عن جسد الدولة الوطنية، وخير مثال على ذلك ما حصل لجنوب السودان [3] .

لقد ساهمت الصراعات الحدودية بقدر كبير في تأجيج الصراعات بين الدول الإفريقية، بالإضافة إلى أن إتباع سياسة دمج وتطويق جماعات ليس لها تقاليد للمشاركة مع غيرها من قبل الدول الاستعمارية في سلطة واحدة وأنظمة مشتركة لتسوية النزاعات بين الجماعات المختلفة من أجل تحقيق مصالحها على حساب استقرار بعض الدول الإفريقية قد شكلت أزمة تاريخية من الصعب حلها وأصبحت نقطة خلاف دائمة بين المجتمعات الإفريقية المجاورة.

كما أن سياسة رسم الحدود بين الدول الإفريقية التي تبنتها الدول الأوروبية وشكلتها وفقا لمقتضيات مصالحها الاستعمارية، أصبحت مشكلة مستعصية فتحت على القارة باب الصراعات القبلية والجهوية بين أبناء الدولة الواحدة، وكذلك الصراعات الحدودية بين دولتين جارتين ومازالت الصراعات قائمة وتتجدد كلما دعت الحاجة لها وبإيعاز من الدول الأوروبية، وهذا كان عبئ ثقيل على كاهل شعوب القارة [4].

وهكذا سببت الصراعات والحروب في نزوح أعداد كبيرة من الأهالي هربا من ويلات الحروب والاضطهاد، أو بحثا عن القوت، تاركة وراءها عدم الاستقرار والأمن في الكثير من المناطق في القارة، بالإضافة لهذه المشكلة فقد نمت ظاهرة أخري أخذت في التصاعد فيون الآونة الأخيرة وهي ازدياد عدد المهاجرين غير

1- عبد الله الأشعل . مرجع سابق ، ص61 .

2- بشير الكوت . الوحدة الإفريقية (في القرن العشرين) ، مرجع سابق ، ص119 .

3- حمدي عبد الرحمن حسن . مرجع سابق ، ص67 .

4- على المزروعي . أفريقيا في عصر العولمة أرباح وخسائر، بنغازي ، منشورات دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، 2002 ، ص43 .

الشرعيين من إفريقيا إلى أوروبا، وكذلك تعتبر مشكلة اللاجئين من أعقد المشكلات في القارة وتحتل أفريقيا المركز الأول في العالم في هذه الظاهرة، ويتبين لنا حجم هذه الكارثة الإنسانية التي انعكست في بعض الأحيان إلى مآس فريدة انفردت بها القارة الإفريقية مثل لجوء مجتمع رواندا بكامله إلى شرق زائير عام 1994 [1].

كما أن المشاكل الحدودية والتي تشكلت بفعل المصالح الاستعمارية في القارة لا تراعي الواقع السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي للدول الإفريقية، والأخطر من هذا أنه قد يتحول عدم الاستقرار الحدودي إلى نزاع مسلح ، كما حدث بين إثيوبيا والصومال، وأرتيريا وأثيوبيا، نتيجة لعدم اقتناعهما بالحدود القائمة التي رسمها الاستعمار الأوروبي في أفريقيا قبل رحيله .

ب ـ الآثار الاقتصادية :

نتج عن الهيمنة الاقتصادية الاستعمارية على القارة حرمان مختلف القطاعات الاقتصادية من ثمرة تطورها الذاتي، وقاد ذلك إلى تسوية التركيبة الاستعمارية والاجتماعية لمختلف بلدان هذه القارة مما ترك أثارا بعيدة المدى على مستقبلها ظلت تعاني منها القارة إلى يومنا هذا.

ولعل استمرار العلائق الاقتصادية غير المتكافئة في جميع مستوياتها بين الدول المتقدمة ودول القارة لم يعد يتطلب قوة عسكرية كما هو الحال قديما، وإنما وجود خبراء لهم دراية بمختلف فنون الإنتاج والإدارة الحديثة وفق تغير آليات العلاقة وشكلها ولم يمس جوهرها الاقتصادي القائم فيما بين الدول الصناعية ومستعمراتها السابقة حيث ظل هذا الجوهر كما كان سابقا، للاحتفاظ بهذه المستعمرات كمصدر رخيص للمواد الأولية لمصانع البلدان الأوروبية، وكسوق مضمون لمنتجاتها .

لقد أثرت هذه الهيمنة تأثيرا واضحا وبالغ الخطورة على التركيب القطاعي والقاعدة الإنتاجية الاقتصادية الإفريقية مما قاد بالتالي إلى الأزمة الاقتصادية الحادة التي تعيشها القارة حاليا والتي تمثل الديون الخارجية حلقة من حلقاتها [2].

كذلك فإن التطور الاقتصادي الرأسمالي خلال القرون الماضية فرض على إفريقيا دمج مواردها في تلك النظام، بحيث أصبحت إفريقيا المورد الأساس للمواد الخام لأوروبا وسوق لتصريف منتجاتها، وهكذا تم إغراق دول القارة الإفريقية بالفائض من المواد المصنعة دون النظر إلى الكمية والنوعية والاحتياجات داخل القارة، جعل من شعوب القارة شعوب مستهلكة ليس لها القدرة على التفكير والإبداع هذا أدى إلى قتل روح العطاء والمبادرة عند المواطن الافريقي .

ومن جهة ثانية فإن تردي وانعدام البنية التحتية المتعلقة بالخدمات والمرافق العامة في مجال التعليم والصحة والمرافق الأساسية قد تسبب في انتشار الكثير من الإمراض والأوبئة الفتاكة التي تصيب الإنسان والحيوان،

1- عبد الله الأشعل . مرجع سابق ، ص61 .
2- المرجع نفسه ، ص86

وقد شكل ذلك تحديا لمجهودات الدول الإفريقية، خاصة في الجوانب الاقتصادية التي أصبحت عاجزة تماما عن التخلص منها بسهولة، هذا كان نتيجة للسلطة الدكتاتورية الحاكمة في إفريقيا التي تمثل الوريث الشرعي للاستعمار القديم والموغلة في الفساد وعدم إدراك مسؤولياتهم تجاه شعوبهم .

والغريب في الأمر هو أن الدول الإفريقية لم تتمكن من الاستفادة من مواردها الطبيعية على الرغم من وجودها بوفرة، وهذا يؤكد على أن القارة الإفريقية مكبلة برواسب استعمارية قديمة كنتيجة للتبعية الاقتصادية للدول الغربية وعدم استقلالية القرار الاقتصادي في اتخاذ القرارات المصيرية فأصبحت هذه الموارد بدون جدوى[1]:

ـ الآثار الاجتماعية : إن المشاكل الثقافية والدينية والاجتماعية التي تتعرض لها دول القارة كثيرة جدا بسبب الموروث الاستعماري الذي شكل المظاهر العامة للدولة في إفريقيا والتي أصبحت عاجزة عن القيام بأي عمل، فكما هو معروف أن دول الإفريقية تضم مجموعة من الأديان وخاصة الإسلامية والمسيحية، حيث أصبح هذا التوزيع الديني عاملاً من عوامل الصراع في المنطقة، خاصة عندما يتم إثارة هذا العامل لأسباب مختلفة من قبل الدول الاستعمارية من أجل تحقيق مصلحة معينة في القارة [2].

وعند العودة إلى الجذور التاريخية ومع قدوم الاستعمار الأوروبي بدأت محاولات منظمة لاجتثاث الافريقي من جذوره وإبعاده عن تراثه تحت دعاوى متعددة منها الحداثة والتحضر وتجاوز التخلف وما شابه ذلك .

وعلى الرغم من رحيل المستعمر بردائه العسكري وتحقيق الاستقلال السياسي، فإن فترة ما بعد الاستقلال شهدت ترديا واضحا وصل إلى حد الانهيار في كثير من الحالات حتى أصبح فهم الواقع الإفريقي مستعصيا تماماً .

لقد كانت معظم حالات العنف التي تقع في إفريقيا بسبب الخلافات العرقية أو العنصرية أو الدينية أو الإيديولوجية والتي كانت سبباً في الصراعات الدامية بين الأفارقة أنفسهم أكثر بكثير مما كان في صراعاتهم مع البيض؛ بحجة مقاتلة الأجنبي، وأغلبها كانت صراعات قبلية نتيجة لما خلفه الاستعمار الأوروبي من فوضى اجتماعية من خلال تدمير حدود الهوية، والأساليب القديمة غير المجدية لحل النزاعات دون خلق بدائل لها لتكون أكثر فاعلية[3] .

فالنسيج الديموغرافي في أفريقيا مبني أساسا على القبيلة، وهي تحضى بولاء الفرد أكثر من ولائه للدولة، وقد كان هذا الولاء إحدى أسباب الصراعات والحروب الأهلية في إفريقيا، فالدولة في إفريقيا هي كيان مصطنع لا جذور له في ثقافة الرجل الافريقي.

1ـ بشير علي الكوت ، المنظمات الإقليمية الفرعية في إفريقيا (دراسة لا ابرز المنظمات) مرجع سابق ، ص34

2ـ المرجع نفسه ، ص37 .

3ـ عبد الله الأشعل مرجع سابق ، ص 175

ومن المعلوم أن الصراعات القبلية التي تقع داخل الدولة الواحدة قد تكون على درجة عالية من الخطورة، وليس ببعيد عن الذاكرة الصراع القبلي بين قبيلتي الهوتو والتوتسي في رواندا وبورندي[1] .

كما ينبغي أن نشير إلى تدني مستويات الدخل القومي والدخل الفردي التي تعود إلى عدم القدرة على تحقيق تنمية ناجحة، وعدم استغلال الموارد الطبيعية والقوى البشرية، والتفاوت الحاصل في الدخول داخل الدولة الواحدة؛ الأمر الذي تولد عنه نوع من الكراهية والحقد داخل المجتمعات الإفريقية .

وعلى الرغم من أن الدول الإفريقية تحوي الكثير من اللهجات المحلية التي تعبر عن الثقافة الإفريقية الجديرة بالاهتمام، إلاّ أن أهلها استعاضوا عن ذلك باستخدام لغة المستعمر، ويعود ذلك إلى تركة استعمارية عجزت الكثير من الدول تخطيها وقد استخدمت اللغات الأجنبية كأمر واقع فرضت على أبناء القارة نتيجة للفراغ التعليمي [2].

1 ـ البشير علي الكوت ، المنظمات الإقليمية الفرعية في إفريقيا ، مرجع سابق . ص37 .

2ـ المرجع نفسه . ص36 .

الخاتمة

إن ظاهرة الاستعمار الأوروبي تجاه القارة الإفريقية في المنتصف الأخير من القرن العشرين كانت نتيجة لحاجة أوروبا من المواد الخام، وتوفير سوق لتصريف منتجاتها، ولأسباب ذلك أصبحت القارة الإفريقية هدفا من أهدافها؛ لما تمتلكه القارة من موارد ضخمة وموقع استراتيجي لا نظير له في المعادلة الدولية، ترتب على ذلك سيطرت القوى العظمى في أوروبا على القارة الإفريقية وما تحتويه من مخزون هائل من الموارد الطبيعية وقد أثر ذلك على القارة الإفريقية، وأصبحت القارة تعاني من إرث استعماري تسبب في حالة من الركود والتخلف الاقتصادي، والسياسي والاجتماعي والثقافي، وشكل عقبة أمام التطور والتنمية في إفريقيا، ويتضح ذلك جليا في نتائج الدراسة.

- **النتائج :**

ـ تتمتع القارة الإفريقية بموقع هام واستراتيجي مند القدم على الصعيد الإقليمي والدولي من خلال تحكمها في البحار العالمية والممرات الحيوية التي شكلت ملتقى للمصالح العالمية، وخاصة بالنسبة للدول الأوروبية؛ لارتباط مصالحها بالقارة الإفريقية مند القدم .

ـ تمتلك القارة الإفريقية ثروات هائلة من الموارد الطبيعية، جعلها محل أنظار دول العالم مند القِدَم، وخاصة إبان الثورة الصناعية في أوروبا، كما شكلت القارة مصدراً هاماً من مصادر المواد الخام والأيدي العاملة للدول الأوروبية، والذي كان له الأثر الواضح على النهضة والتطور الذي شهدته أوروبا أواخر القرن التاسع عشر.

ـ كانت القارة الإفريقية قبل السيطرة الأوروبية تنعم بنوع من الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي، بخلاف ما كانت عليه الحياة في أوروبا التي كانت تعيش حالة من الفوضى وعدم الاستقرار نتيجة للحروب التي شهدتها أوروبا .

ـ تعاني القارة الإفريقية من فشل واضح في جميع نواحي الحياة نتيجة للإرث الاستعماري الذي تركته الدول الأوروبية في القارة، والذي ما زال يشكل عقبة أمام التطور والتقدم في القارة.

- **التوصيات :**

ـ إعادة النظر في كل مؤسسات الدولة القديمة والديمقراطية التي قدمتها الدول الأوروبية لدول القارة والتي كانت تسيطر على مجريات الأمور في الدول الإفريقية، والتي تم تفصيلها على شعوب العالم الثالث دون غيرهم .

ـ التخلص من فكرة الدونية التي يشعر بها الإنسان الإفريقي دائما في علاقته مع الدول الغربية، والمنطق يقول: إنّ العلاقات الدولية ينبغي أن تتحرك بين الأمم وفق إمكاناتك لا وفق هواجسك، ومن المعروف أن

دول القارة لديها إمكانات ضخمة سواء المادية أو البشرية تستطيع تحريكها لما يخدم مصالحها من خلال علاقات التعاون وتبادل المنافع .

ـ يجب أن يكون التعامل مع الدول الأخرى في إطار التعاون المشترك مع جميع الأطراف من منطلق تبادل المنافع، وبالتالي لن يكون هناك غزو واحتلال، وقد ينتهي الإرث الاستعماري إلى الأبد .

ـ تغيير نمط تفكير الإنسان الافريقي، فهو لا يزال حبيساً للأفكار القديمة التي ترى بأنّ الإنسان الغربي أفضل وأكثر ذكاء، وهم بلد الصناعة والتطور، كل هذه الأفكار جعلت الشعوب الإفريقية شعوباً استهلاكية فقط، وليس لديها النية في التقدم والتطور، فالفكر هو القاعدة الأساسية في التطور والتقدم والاعتماد على النفس.

ـ تشجيع الاختراع والمخترعين واستحداث مراكز بحثية حديثة تقوم برعاية العلماء الأفارقة، وتوفير كل الإمكانات لذلك، وكذلك تتولى استقطاب العلماء الأفارقة الموجودين بالخارج للمساهمة في التطور داخل إفريقيا

ـ وضع حد لسلطة الرجل الواحد داخل الدول الإفريقية من خلال الأساليب الديمقراطية التي قد تتماشى مع الوضع الافريقي .

المراجع

أولا ـ الكتب :

(1) ـ أحمد الصاوي. قضية لوكربي ومستقبل النظام الدولي (الأبعاد غير المعلنة للحملة الغربية ضد الجماهيرية)، بدون بلد نشر، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، 1992م.

(2) ـ آساني فساسي . الصحوة الإفريقية، ترجمة . هيثم لمع، بنغازي، منشورات دار الجماهيرية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2001 م.

(3) ـ إيديث كريسون . حوار البحر الأبيض المتوسط ـ أوروبا في ظل العولمة ، بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى ، 2006 م.

(4) ـ بشير علي الكوت . المنظمات الإقليمية الفرعية في إفريقيا (دراسة لأبرز المنظمات) ، بنغازي ، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى، 2008 م.

(10) ـ البشير علي الكوت وآخرون . الاتحاد الافريقي (مسيرة الوحدة الإفريقية)، بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى، 2005 م .

(11) ـ بشير الكوت الوحدة الإفريقية (في القرن العشرين) ، بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى ، 2004 م.

(13) ـ جان بيار كريتيان . أفريقيا البحيرات الكبرى ألفا عام من التاريخ ، مصراتة ، منشورات دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى ،2000 م.

(14) ـ حمدي عبد الرحمن حسن . العرب وإفريقيا في زمن متحول، بدون بلد نشر، منشورات دار مصر المحروسة، بدون تاريخ نشر .

(18) ـ حيدر الزروق الجعراني . خواطر إفريقيا ، بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى ، 2006 م.

(23) ـ جميل مصعب محمود . تطورات السياسة الأمريكية اتجاه إفريقيا وانعكاساتها الدولية ، عمان، منشورات دار المجدلاوي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2006 م.

(27) ـ سالم عبد الله الفلاح . التمييز العنصري وآثاره في جنوب إفريقيا ، بنغازي، منشورات جامعة بنغازي ، الطبعة الأولى ، 2020 م.

(28) ـ عبد الله الأشعل . الاتحاد الافريقي والقضايا الإفريقية المعاصرة ،القاهرة، منشورات مؤسسة الطوبجي للتجارة والطباعة والنشر، 2002 م.

(35) ـ عبده علي عثمان . ندوة التحركات البشرية والهجرات اليمانية (الصلات الحضارية والثقافية بين اليمن والمستوطنات الحضرية في شمال إفريقيا) ، بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الثانية ، 2007 م.

(36) ـ عبد السلام محمد شقلوف وآخرون. وثائق إفريقيا من أكرا غالى لومي، بنغازي، منشورات دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، بدون تاريخ نشر.

(37) ـ علي المزروعي . أفريقيا في عصر العولمة أرباح وخسائر، بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى، 2002 م.

(38) ـ لويس دوللو . التاريخ الدبلوماسي، الترجمة. سموحي ، بيروت، منشورات عويدات للنشر والطباعة، الطبعة الثالثة، 1999م.

(39) ـ مسعود عمر مسعود . تجمع الساحل والصحراء (الواقع الجيو سياسي وآفاق التعاون)، بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى ، 2008 م.

(41) ـ محمد الحسيني المصيلحي. منظمة الوحدة الإفريقية (من الناحيتين النظرية والتطبيقية)، بدون بلد نشر، منشورات دار النهضة العربية، 1976 م.

(43) ـ محمد المبروك يونس . دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الإفريقية (1969ـ 1970) ،بنغازي، منشورات دار الكتب الوطنية ،الطبعة الأولى ،2007 م.

ثانيا الدوريات :

(1) ـ محمد الأمين ولد جدو . (تنامي ظاهرة التكتلات الاقتصادية عالميا)، مجلة دراسات ، العدد الثالث والعشرين، طرابلس، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، 2005 م.

(2) ـ أحمد نوفل . (ظاهرة الحرب الأهلية في أفريقيا دراسة أسباب نشأة الظاهرة ونتائجها)، مجلة آفاق افريقية ، العدد الرابع ، بدون مكان نشر ، 2000 م.

(3) ـ صليحة علي صداقة . (هجرة العقول الإفريقية ، إفراغ للذاكرة الحضارية) ، مجلة الثقافة العربية ، العدد 297 ، منشورات مركز الثقافة العام ، 2008 م.